الإثنين,كانون الأول 29, 2008

حذار من خديعة عسكرية

حذار من خديعة عسكرية

د. أكرم حجازي

30/12/2008

مع احترامي وتقديري للمحللين العسكريين الذين يتحدثون عن اجتياح إسرائيلي بري لقطاع غزة، جزئي أو شامل، لكن إذا ما ركن المقاتلون الفلسطينيون إلى مثل هذه التحليلات فقد يقعون في خديعة مدمرة لا تقل فداحتها عن الخديعة السياسية التي تعرضت لها القيادة السياسية لحركة حماس ومن ورائها بقية الفصائل الفلسطينية.

هذه التحليلات تستند أصلا إلى تصريحات القادة اليهود. وهؤلاء يحشدون قواتهم على أطراف غزة، ويهددون باجتياحها جزئيا أو كليا بحسب ما تقتضيه الحاجة! وإذا ما ركن المقاتلون أو القيادات السياسية وحتى العسكرية للفصائل الفلسطينية إلى مثل هذا الاحتمال فربما يكونوا بصدد تلقي خديعة عسكرية كبرى. فما هي حقيقة المشهد العسكري إذا أخذنا بعين الاعتبار أن إسرائيل خاضت حرب تموز 200 وخرجت منها ذليلة؟

في لبنان بدأت الحرب كما هو الحال في غزة بعمليات قصف جوي واسعة النطاق وبسرعة قياسية. والمنطق التقليدي للحروب يفسر هذه البدايات كمقدمة لتحرك القوات البرية التي تكون مهمتها تطهير المناطق المحتلة من العدو. لكن وقائع العمليات البرية أثبتت أن الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية فشلت فشلا ذريعا في معرفة العقيدة القتالية لحزب الله من دفاعات وتحصينات ومنظومات اتصالات محكمة. والأكيد أنها فوجئت بمشهد حربي غير مألوف. ورغم عديد المحاولات لكسر الدفاعات الأمامية الكائنة في عمق الجبال ومناطق السيطرة إلا أن الفشل كان مؤلما على القوات المهاجمة.

الواقع العسكري يقول بأن المقاتلين الفلسطينيين لا يمتلكون قوة عسكرية رادعة كما هو الحال بالنسبة لحزب لله، وليسوا في دولة يمكن أن تتلقى الدعم العسكري أو المدني من هنا أو هناك، وليسوا قادرين على مواجهة آلة الدمار الإسرائيلية، ولا هم يتمتعون بأدنى دعم سياسي يذكر لا على المستوى العربي ولا على المستوى الدولي. باختصار فإن كل العالم شريك في طحنهم وإبادتهم، وكل العالم يعرض عليهم أطروحة واحدة هي التخلي عن المقاومة المسلحة والقبول بالشروط الإسرائيلية. والتالي فهم معرضون لكسر هذه الهجمة أو الاستسلام التام.

ولا نشك لحظة واحدة بأن حماس استطاعت بناء شبكة دفاعات ممتازة في قلب غزة وعلى أطرافها. ولا نشك أيضا أن إسرائيل تدرك ذلك، وتدرك أن الفصائل الفلسطينية قد أعدت عدتها لمواجهة طاحنة مع إسرائيل إذا ما اجتاحت غزة. ولا نغامر، كثيرا، إذا قلنا بأن اجتياح غزة سيجعل إسرائيل تندم على فعلة من هذا النوع. لكن من يستطيع أن يجزم بأن إسرائيل ستهاجم برا بذات الطريقة التي فعلتها في حرب تموز 200؟

من الطبيعي أن يقرأ العدو أفكارنا وتطلعاتنا العسكرية جيدا. وكي يرضي طموحاتنا يصرح بين الحين والحين أنه سيجتاح غزة برا، وحتى يجعل من تصريحاته ذات مصداقية نراه يربط تهديداته بعبارات من نوع: **إذا دعت الضرورة** أو أن إسرائيل: **لا تستهدف احتلال غزة** وأظن حقا أنها لا تستهدفها باحتلال جديد! وعليه فلا نستبعد أن يكون العدو بصدد الدفع بالمقاتلين إلى توهم حصول هجوم بري على نحو ما يتمنوه. لكن ماذا لو لم يجتاح

غزة؟!! فهل سيواصل القصف فقط وهو يعلم أن القصف الجوي وحده لا يحقق له مكاسب سياسية؟

لست أزعم أنني خبيرا عسكريا، ولست بصدد تقديم نصائح أو تنظيرات لمن هم في الميدان. لكن من المهم أن نفكر بعكس ما يفكر العدو وبعكس ما يريدنا أن نفكر. فإذا استبعدنا اجتياح تقليدي لغزة؛ فما هي الاحتمالات المتاحة أمام العدو؟ هل سيكتفي بتأمين مفاتيح المنطقة ثم يأخذ بالتقدم مستعينا بعملائه أو بقوات فلسطينية مثلا؟ وكمثال فقد يلجأ العدو إلى تعريض المقاتلين إلى خطر الإرهاق الشديد، عبر إنزالات جوية وهمية أو حقيقية وفي عدة مناطق وفي وقت واحد، يفقد المدافعين القدرة على السيطرة والتركيز، وتمهيدا لإقامة سيطرات تمكن من فصل المناطق والأحياء عن بعضها وقطع كافة خطوط التواصل والاتصال. ومن ثم يعمد إلى تسليم المناطق المنهارة إلى قوات موالية له.

لذا فمهما كان محتوى التفكير المخادع للعدو في مثل هذه الظروف فسيكون الطرف المقابل ملزما بذات العقلية من التفكير كأفضل وسيلة للدفاع وتخريب خطط العدو. وهذا يعني بالقطع ضرورة المبادرة المدروسة بدقة وعدم الركون إلى التجارب والخبرات التقليدية أو الأماني أو انتظار الخطوة القادمة للعدو. وقد يكون من السهل القول بأن الهجوم، في عقر دار العدو، هو أحد الخيارات المتاحة أمام المدافعين وهذا صحيح من حيث المبدأ. لكن من الأهم القول أن مواضع الخداع ولحظاتها الزمنية تحددها ساحة المعركة بالذات. وثمة شرط حاسم في الحرب الدائرة وهو عدم الالتفات إلى الوضع السياسي أو الاجتماعي أو التفكير بموازين القوى أو انتظار النصرة والعون من هنا وهناك.

يبقى القول أن التعقل والحكمة والشجاعة والإقدام والإيمان والصبر والتوكل على الله وحده عوامل حاسمة في المعارك، لكن حذار من الاغترار والبطولات والاندفاعات العاطفية والهوى.

كتبها د. أكرم حجازي في 10:07 مساءً ::